INDONESIAN JOURNAL
of Islamic Literature and Muslim Society
vol. 4, no. 1, January-June 2019, ISSN: 2528-1194 (p); 2528-1224

AṠAR AL-QUR'ĀN AL-KARĪM FĪ AL-LUGHAH AL- 'ARABIYYAH FĪ ḌAU' 'ILM AL-LUGHAH AL-ḤADĪS

Mohamed Mohamed Dawood
Canal Suez University, Egypt
Email: dr.Mohameddawood@yahoo.com

Abstract

This article discussed the influence of the Quran on Arabic from the perspective of modern linguistics. With a linguistic approach, this article finds seven aspects of language that occur in the impact of the Quran on Arabic, namely: preservation of Arabic, the stability of Arabic, the unification of Arabic dialects, enrichment and development of Arabic, refinement of Arabic and the spread of Arabic. These seven linguistic aspects certainly make Arabic the only language in the world whose linguistic rules do not change, both in terms of phonology, morphology, syntax or semantics, which does not occur in any word in the world. In this world, there have been many languages that have died because of the death of their owners, or words that are weak because of the weakness of their owners. This condition is different from Arabic which is the language of the Quran. The language relations between Arabic and the Qur'an have made this language sustainable until then.

Keywords*: Arabic, Quran, modern linguistics, language influence.*

Abstrak

Artikel ini mendiskusikan pengaruh al-Qur'an terhadap Bahasa Arab dilihat dari segi linguistik modern. Dengan pendekatan linguistik, artikel ini menemukan adanya tujuh aspek kebahasaan yang terjadi dalam pengaruh al-Qur'an terhadap bahasa arab, yaitu: pelestarian bahasa Arab, stabilitas bahasa Arab, penyatuan dialek Arab, pengayaan dan pengembangan bahasa Arab, penyempurnaan bahasa Arab dan penyebaran bahasa Arab. Sudah pasti bahwa ketujuh aspek linguistik ini menjadikan bahasa Arab sebagai satu-satunya bahasa di dunia yang aturan linguistiknya tidak berubah, baik dari segi fonologi, morfologi, sintaksis ataupun semantiknya, hal mana

tidak terjadi pada bahasa manapun di dunia ini. Di dunia ini telah banyak ditemukan bahasa yang mati karena kematian pemiliknya, atau bahasa yang lemah karena kelemahan pemiliknya. Kondisi ini berbeda dengan bahasa Arab yang merupakan bahasa al-Qur'an. Hubungan kebahasaan antara bahasa Arab dan al-Qur'an telah membuat bahasa ini menjadi lestari hingga seterusnya.

Kata Kunci: Bahasa Arab, al-Qur'an, lingusitik modern, pengaruh kebahasaan.

مقدمة

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، فكان للغة العربية مزية لا تتأتى لغيرها من اللغات، وكما أثر القرآن الكريم فى الأمة العربية، فى أخلاقها وعقيدتها وشتى نواحى حياتها، فقد أثر أيضًا فى اللغة العربية تأثيرًا بالغًا يمكن نظره من حيث علم اللغة الحديث. وبالتالي ، فإن هذه المقالة ذات النهج اللغوي ستناقش تأثير القرآن على اللغة العربية من هذه الحيثية.

الجوانب اللغوية لتأثير القرأن علي اللغة العربية

حفظ اللغة العربية

فالمتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم؛ فأين اللغة الفينيقية (لغة أهل لبنان قديمًا)؟ وأين اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، واللغة الآشورية؟! .... إلخ. إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه، وسبحان الله القائل :[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ]. والذى يدقق النظر فى العربية المعاصرة يجد الكثير من ألفاظها فارق أمه، وظلت تلك الأم الفصحى حية مقصورة على الاستخدام الدينى المرتبط بالقرآن الكريم[1] والسنة النبوية المطهرة.

استقرار اللغة العربية

رغم أن التطور سنة جارية فى كل اللغات، وأكثر مظاهر هذا التطور يكون فى الدلالات، إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (الصوتية – الصرفية – النحوية – الدلالية)، وما تطور منها كان فى إطار المعانى الأصلية وعلى صلة بها.

[1] راجع : محمد محمد داود، الدلالة والكلام: دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام فى العربية المعاصرة فى إطار المناهج الحديثة،. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر, 2002.

والمحافظة على الأصل الدلالى للفظ مع تطور الزمن، له فائدة لا يُستهان بها فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر من الأهمية بمكان، ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوى الذى تتميز به العربية إذا ما تأملنا التغير السريع الذى يلاحق اللغة الإنجليزية (لغة الحضارة المعاصرة)؛ فنصوص الإنجليزية القديمة التى مر عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت عصية على الفهم بالنسبة للإنجليزى المعاصر. ولعل هذا التغير السريع هو الذى دفع علماء هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمة عندهم ؛ مثل نصوص شكسبير بإنجليزية حديثة *Modern English* يفهمها المعاصرون، بدلاً من الإنجليزية القديمة *Old English*.

فى حين أن العربى المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة ؛ ويكفى النظر إلى هذه الآيات :]الٓمّٓ ۚ. ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيْهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَۙ. الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَۙ. وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَۗ. اُولٰۤئِكَ عَلٰى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ ۙ وَاُولٰۤئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ[البقرة/ 1 : 5 . وقوله تعالى:] وَالْعَصْرِۙ. اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍۙ. اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ۙ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ[. وقوله تعالى:] قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌۚ. اَللّٰهُ الصَّمَدُۚ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْۙ. وَلَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُوًا اَحَدٌۢ[.

ومن الحديث النبوى الشريف قول النبى r : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[2] .

ورغم مرور أربعة عشر قرنًا، لا يكاد الإنسان يجد صعوبة فى فهم هذه النصوص ولا تصادفه غرابة فى الألفاظ، وما قد يصادفنا من ألفاظ صعبة فإن أيسر المعاجم يمكن أن يبدد هذه الصعوبة. وهكذا الشأن مع باقى المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية)، وهذه مَزِيَّة عظيمة: أن تكون الأمة موصولة بتراثها الزاخر تفيد منه وتنفع به.

[2] (2) البخارى 7/1، مسلم (1907)، أبو داود (2201)، الترمذى (1647)، النسائى فى: الكبرى (78)، ابن ماجة (2427) .

وتأمل مَزِيَّة استقرار اللغة العربية، التى تفردت بها عن سائر اللغات التى تغيرت وتبدلت تغيرًا وتبدلاً جعل من اللغة الواحدة لغات كثيرة متباينة ، يؤدى بنا إلى التساؤل التالى : ما السبب وراء هذه المَزِيَّة ؟

هل يمكن إرجاع هذه المَزِيَّة إلى أن اللغة العربية كانت لغة عالمية، فيها كل ما تفتقر إليه الأمم فى كل الأزمنة والأمكنة من ألفاظ ومعانٍ وأخيلة، بحيث يجد الناس فيها ما يفتقرون إليه، لذلك هم يحرصون عليها ؟! وهذا بعيد. فما كانت اللغة العربية ولا غيرها كذلك[3].

أم أن مزية استقرار اللغة العربية ترجع إلى أهلها ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية ؟! والواقع يكذب ذلك؛ فقد كان أهل العربية فى موضع متأخر الشأن بجوار حضارتين عظميين هما الفرس والروم.

وهكذا ينتهى بنا التأمل إلى أن الباحث لا يجد سببًا مقنعًا لهذه المزية سوى أنها أثر من آثار القرآن الكريم. لقد كان التلقى الشفهى هو الأساس فى انتقال القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بداية من سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ إلى سيدنا محمد r ، وصولاً إلى زماننا الحاضر وهكذا حتى تقوم الساعة.

ولهذه الخاصية (المشافهة) آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكن إلف العادة هو الذى يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحى الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها من تغير، فإن ذلك يظهر أثر القرآن فى الاستقرار الصوتى للغة العربية، وكذلك فى وجوه الإبداع الصوتى، على نحو ما يظهر من العرض التالى:

أولاً: الفاصلة بين التناسق الصوتى ورعاية المعنى:

أود هنا ـ بداية ـ توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف من صالحى هذه الأمة حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية « رؤوس الآيات »، تمييزًا لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففى الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفى النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: « رأس »، أى مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهى ولا يهبط أبدًا، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قِمَمٌ يرقَى القارئ إليها،

[3] (3) أحمد حسن الباقوري: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية, دار المعارف: 1987, ص 16.

وكلما مضى فى القراءة ازداد رُقِيًّا، فهو صاعد أبدًا، حيث يقال لقارئ القرآن: « اقرأ وارقَ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[4].

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية، أى كما جاءت عن سيدنا رسول الله ﷺ. والملاحظ فى رؤوس الآيات التناسب الصوتى الذى يلفت الانتباه وتستريح له الأذن، إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التى جعلت الوليد بن المغيرة يقول بعد سماعه القرآن الكريم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة[5]، وهما من حسِّ اللسان وحسّ الأذن.

وإذا ما أحببنا محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمى، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التى تكوِّن هذه الفواصل، بهذا التناسق الصوتى المبدع، فإننا نلاحظ التالى:

- كثرة ورود الحركات، وبخاصة الطويلة (حروف المد: الألف، والواو، والياء)، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام.

- كثرة ورود الصوامت المتوسطة (النون - الميم - الراء - الواو - الياء)، وهى قريبة - من الناحية الفيزيقية - إلى طبيعة الحركات، التى تسهم فى خاصية التنغيم الشجىّ بشكل واضح.

- تسهم بعض الظواهر الصوتية فى الأداء القرآنى (المد والغنة) فى تحقيق التناسق الصوتى المبدع داخل النص القرآنى.

وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد فى غير القرآن من فنون الشعر والنثر. لكن هل هذا التناسب الصوتى من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد، ليكتسب النثر ضربًا من الموسيقى والنغم؟ أم من قبيل القافية فى الشعر؟

الجواب: لا هذا ولا ذاك؛ فالفاصلة فى القرآن ليست على وتيرة واحدة كما هو الحال فى كل من السجع والقافية، فهى لا تلتزم شيئًا من ذلك، حيث تجرى فى عدد من

[4] أخرجه: أبو داود (1664)، والترمذى (2915).

[5] (5) أخرجه الحاكم، فى المستدرك: 506/2، ومن طريقه البيهقى، فى الدلائل: 198/2.

آيات القرآن على نمط، ثم تتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد، ومن ذلك مثلاً، قوله تعالى:

قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦

فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدى إلى تقديم عنصرٍ أو تأخيره، ليس رعاية للتناسق الصوتى وفقط، بل رعاية للمعنى أيضًا، وهذا هو الإعجاز.

ومثال ذلك، قوله تعالى:(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ) الفاتحة/5 ، فإن قلت: لم قدَّم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون القدماء أصحاب الحس المرهف، وعلى رأسهم الزمخشرى، بالقول: « هو من تقديم العلة على المعلول »[6]، وقال أبو السعود : «هو من باب تقديم الأشرف»[7].

وفى قوله تعالى: (وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ) الليل/13 ، لماذا قدَّم الآخرة على الأولى؟ والجواب: أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها؛ فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذَّب وأعرض بالتنكيل به فى الآخرة، فى مقابل الثواب الذى ينتظر من أحسن وصدَّق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتى وتناسب الإيقاع فى الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال فى غير هذا النظم القرآنى المعجز.

ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد؛ فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

ـ أيضًا الترتيب فى تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم - مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى:

: (يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ) سبأ/2 .

وقوله تعالى:

6 [1]الزمخشرى: الكشاف: 65/1.

7 [2]أبو السعود: إرشاد العقل السليم: 17/1.

: (وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) الحجرات/14 .

فقدم الرحمة فى آية سبأ؛ لأنها منشأ المغفرة. أما الغفور فتقدم فى كل موضع فى القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصى وكفران النعم.

ثانيًا: التناسق الصوتى على مستوى الصوت المفرد واللفظ والتركيب:

أول ما يلفت الانتباه أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر فى بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعانى المرادة لها، وهذا هو الجديد فى الصوت القرآنى: أن يوظَّف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة:

(أ) التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:

ـ من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها فى كلمة (تدارك) ليدل على التردّى الجماعى، أو على المبالغة فى التثاقل أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا) الأعراف/38 .

أصل الفعل (تداركوا)، وقلبت التاء دالاً وأدغمت فى الدال، فلما سُكِّنت جىء بهمزة الوصل، والتشديد يوحى هنا بتداعيهم فى النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم فى النار جعل بعضهم يعوق بعضًا قبل أن يتردَّوْا فيها، فكأن النقطة التى تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة[8].

ومثله إيحاء التكرار فى قوله تعالى:(فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ) الشعراء/94.

ـ ومن هذا أيضًا قوله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ) التوبة/38 .

ـ ومنه:(مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ) الأحزاب/11 ، التردد والتكرار والتضعيف، وقوله تعالى:(وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا) الأحزاب/11

[8] (1) راجع: د. تمام حسان، روائع القرآن الكريم.

وقوله تعالى: (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم) الشمس/14 ، أيضًا ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة فى الحدث أو الصفة، من ذلك قوله تعالى:(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) فاطر/37 .

فشدة ارتفاع أصوات أهل النار بالصراخ ومشاركتهم جميعًا فيه، وتكرار ذلك منهم لايكفى أن يُعبَّر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، لذا جاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة لتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (لتصبح طاء)، فيكون فى تفخيمها قوة مبالغة فى الفعل.

ـ ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ) النجم/22 . و (ضيزى) تعنى: جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التى غلبت فيها الألف المقصورة، والثانى: الإيحاء – بما فى الضاد من تفخيم – إلى أن الجور فى هذه القسمة لا مزيد عليه.

ـ وقوله تعالى:(أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) البقرة/19 .

والصيب: النزول الذى له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لأنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

(ب) التناسق بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة :

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة[9] قوله تعالى:
(عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا) الإنسان/18 . حيث يوحى لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل/سلاسة) من شركة فى بعض الحروف.

هذا فى مقابل الإيحاء فى جهة الضد للمعنى السابق، كما فى قوله:

(إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا) النبأ/25 ، حيث إن مادة (غسق) فى القرآن، منها: الغسق، والغاسق، والغسّاق ـ توحى أن القسط المشترك بين هذه المشتقات: الدلالة على أمور كريهة؛ فالغسق: الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغسَّاق: شىء كريه لايشرب،

[9] (1) راجع: د. تمام حسان: من روائع القرآن الكريم.

وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغويًّا من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله فى التفسير قوله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ المطففين/7 ، وقوله تعالى:

﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴾ الغاشية/6 ، والضريع: نبات شوكى وإيحاء لفظ '' ضريع'' فى الطعام يفيد ذلاً يؤدى إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك. يقابله فى المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطففين/18 ، وقوله تعالى:

﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ يوسف/51 .

(ج) المناسبة والتناسق بين نوع الحركة والمعنى :

مثاله قوله تعالى:

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ فاطر/3. بتأمل حركة الكاف فى كلمة "يمسك" فى الآية نجد أن السكون فى الثانية موافق لمعنى الإمساك لما بها من إغلاق وعدم حركة، فى حين أن الأولى "ممسك" مفتوحة، وهى مناسبة لمعنى الفتح.

ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى كثير من آيات القرآن:

ـ قوله تعالى :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الفاتحة/1.

الجملة تُعدُّ من مقول القول فكان مقتضاها: الحمدَ بفتح الدال، على تقدير: أقول: ''الحمدَ لله''، فلماذا عُدِل عن النصب إلى الرفع، على تقدير: قولى: الحمدُ لله؟ الجواب: عُدِل عن النصب إلى الرفع للدلالة على أن الحمد ثابت لله تعالى أزلاً، وإن لم يحمده أحد؛ فقد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده الخلق، وعليه فالجملة خبرية- لا إنشائية – لفظًا ومعنى. وهو أولى الأقوال فى هذه الجملة.

ـ قوله تعالى : ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ القصص/4.

التشديد فى ﴿ يُذَبِّح ﴾ فيه دلالة على الكثرة والعنف فى حدث الذبح. ولذلك جاءت على التشديد بدلاً من ﴿ يَذْبَح ﴾ بدون تشديد.

توحيد لهجات العربية

بسبب انعزال القبائل عن بعضها، وضعف وسائل الاتصال بينها، بالإضافة إلى العلل الخِلقية المتصلة بالعملية اللغوية من سوء السمع وسوء الأداء؛ كان للعرب لهجات كثيرة متباينة؛ منها ما كان لأهل الحضر، ومنها ما كان لأهل البدو وما ببيئتهم من خشونة وجفاف، ومن الشواهد المشهورة لتباين اللهجات الأمثلة التالية:

(أ) اختلاف هيئة النطق للكلمة الواحدة

وأوضح مثال لذلك هو ظاهرة الإمالة، وأشهر أمثلتها : «الضحى»، «سجى»، «قلى»، «دعا»، بإمالة الفتحة الأخيرة إلى كسرة، والألف التى بعدها إلى ياء فى الأمثلة السابقة. وللإمالة ألوان متنوعة يرجع إليها فى كتب القراءات واللغة.

(ب) اختلاف معانى الكلمـات

روى أن أبا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقى النبى r وقد وقعت من يده السكين، فقال : "ناولنى السكين". فالتفت يمنة ويَسْرة ولم يفهم مراده، فكرر له القول وأشار إليها، فقال : آلمديةَ تريد ؟ فقال : "نعم". قال : أوَ تُسَمَّى عندكم سكينًا ؟! ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ[10].

فهذا شاهد على تعدد الدوالّ والمدلول واحد، فجاء القرآن الكريم يصطفى من لغة العرب ولهجاتها أفضلها، ليقدم للعرب لغة واحدة فصيحة ولهجة واحدة عذبة، ولا يستعصى على أحد فهمها.

(ج) اختلاف تركيب الكلمـات

تحفل كتب اللغة بشواهد على تعدد أشكال الصياغة التركيبية للكلمات، فقضاعة مثلاً كانت تقلب الياء جيمًا إذا كانت ياء مشددة أو جاءت بعد العين، وهو ما أطلق عليهاللغويون: «عجعجة قضاعة»، ومن ذلك قول شاعرهم:

خالى عويفٌ وأبو عَلِجّ المطعمان اللحم بالعَشِجّ[11]

يريد: أبو على، بدلاً من (أبو علج)، وبالعشى بدلاً من (بالعشج).

[10] (1) مسند أحمد، 71/2 .

[11] (1) البيت من الرجز، وهو فى: الكتاب 288/2 بلا نسبة، وشرح المفصل 74/9، 500/10، ونسبه العينى 585/4، والشيخ خالد الأزهرى فى التصريح على التويح 2/-367 إلى رجلٍ من أهل البادية .

وهناك أيضًا « الشنشنة» فى لغة اليمن؛ يجعلون الكاف شينًا مطلقًا؛ فبدلاً من أن يقول الرجل : لبَّيك، يقول: لبَّيش، و»العنعنة» فى لغة تميم وقيس؛ يجعلون الهمزة المبدوء بها عينًا يقولون: عِذَنْ أكرمك، بدلاً من: إذن أكرمك، و»الفحفحة» فى لغة هذيل؛ يقولون: علت العياة لكل عىّ، يريدون: حلت الحياة لكل حى، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود: «عتى حين» فأرسل إليه سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ :إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش.

وهناك طمطمانية حمير؛ حيث كانت تنطق «ام» بدلاً من «أل» للتعريف فى صدر الكلمة. ومن ذلك قول رسول الله r : "**ليس من امبر امصيام فى امسفر**»[12] والمراد: ليس من البر الصيام فى السفر، وغير ذلك كثير يرجع إليه فى كتب اللهجات.

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات وتباعدها إلى صعوبة الفهم بين القبائل، ويشهد لذلك قول علىٍّ ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله r، وقد سمعه يخاطب بنى نهد فيمن وفد عليه من قبائل العرب عام الوفـود: يارسول الله r، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره، فقال له النبى r : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى "[13] . وواضح من الحديث أن النبى r كان يخاطب كل قوم بلسانهم؛ كيما يفهموا.

إثراء وتنمية اللغة العربية

لقد أضاف القرآن الكريم نموذجًا للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نموذجًا له الخلود والبقاء لا تمسه يد التغيير والتحريف. لقد كانت العربية قبل نزول القرآن تُصَنَّف إلى شعر ونثر، فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوى فى العربية ثلاثة : قرآنًا، وشعرًا، ونثرًا.

ولا ينبغى أن يصنف القرآن تحت عنوان النثر؛ لأن القرآن ليس بنثر، ولا بشعر، إنه كلام رب العالمين.

[12] (2) البخارى (1946) واللفظ له، ومسلم (1115) بلفظ مختلف.

[13] (1) فيض القدير على الجامع الصغير: 235/1. صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال عنه السخاوى: ضعيف ولكن معناه صحيح. انظر: السخاوى: المقاصد الحسنة: ص29.

كما استحدث القرآن الكريم أسماء جديدة، من ذلك ما يعرف بـ (الألفاظ الإسلامية) [14] التى جاءت تعبيرًا عن المعانى الإيمانية الجديدة، التى لم يكن للعرب معرفة بها؛ من ذلك:

١. **الإيمان**: كان بمعنى التصديق مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى الذى حدده رسول الله ﷺ فى الحديث: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "[15].
٢. **الكفر**: كان بمعنى الستر مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى المعروف، ومنه تعريف حجة الإسلام الغزالى بأنه: تكذيب الرسول ﷺ فى شىء مما جاء به [16].
٣. **الصلاة**: كانت بمعنى الدعاء مطلقًا، ثم صار لها المعنى الشرعى المعروف، من أفعال محددة وأقوال مخصوصة حددها الشارع.
٤. **الزكاة**: كانت بمعنى النماء مطلقًا، ثم أصبح لها المعنى الشرعى المعروف، وهو: القدر الواجب إخراجه لمستحقِّيه فى المال الذى بلغ نصابًا معينًا، بشروط مخصوصة [17].
٥. **الحج**: كان بمعنى القصد مطلقًا، ثم صار له المعنى الشرعى المعروف، وهو: القصد إلى بيت الله الحرام؛ لأداء أفعال مخصوصة نص عليها القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة، كالإحرام والطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، ونحو ذلك .
٦. **المغفرة**: كانت بمعنى: الستر مطلقًا، وأصبحت بمعنى: الصفح والعفو.

كذلك الألفاظ الاصطلاحية التى نشأت فى رحاب العلوم الشرعية المرتبطة بالقرآن الكريم؛ مثل: التوحيد، الفقه، أصول الفقه، التفسير، النحو، الصرف .. إلخ. ويوضح الإمام السيوطى فى " الإتقان " أن هناك أكثر من ستين علمًا من علوم العربية نشأت فى رحاب القرآن الكريم؛ للمحافظة عليه من اللحن من جانب، ومن جانب آخر لمحاولة فهمه والوقوف على أسرار معانيه.

---

14 (2)راجع فى هذا المعنى: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ:ص17.
15 (3)صحيح مسلم: كتاب الإيمان 37/1.
16 (1) الغزالى: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: ص 134.
17 (2)د. محمد بكر إسماعيل: الفقه الواضح: 463/1، 583.

لقد كان القرآن – بحق – السبب المباشر والرئيس وراء نشأة علوم العربية وكان لكل علم من هذه العلوم مصطلحاته الخاصة به. ومن جوانب إثراء العربية:

أ- الرقى بدلالات كثير من الألفاظ[18]؛ مثل:

ـ الرسول: كانت تطلق على شخص يحمل رسالة من إنسان إلى إنسان آخر، ثم ارتقت دلالتها فى الإسلام، وأصبحت تطلق على الإنسان الذى يكلفه الله برسالة إلى البشر، مثل رسل الله: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

ـ الكرسى: ارتقت دلالته فى رحاب القرآن الكريم من خلال دلالته فى الآية الكريمة:

(وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ) البقرة/255 .

ب- إضافة أغراض جديدة للتعبير:

من أهم هذه الأغراض الدعوة إلى المُثُل العليا والأخلاق الحميدة، والقصد فى الغنى والفقر وعدم التهافت فى طلب الدنيا والإقبال على الآخرة والرغبة فيها، ونحو ذلك من المعانى الإيمانية.

تهذيب اللغة العربية

أ – فقد نحَّى القرآن الكريم عن اللغة التقعر فى الكلام، والغريب، والألفاظ الحوشية الثقيلة على السمع. وإن من يتأمل النثر أو الشعر الجاهلى يرى كثيرًا من الكلمات الحوشية، من ذلك: ''جحيش''، و ''مستشزرات''، و ''جحلنجح''، و ''البخصات''، و ''الملطاط''، و''الهعخع''، و''افرنقعوا'' وغير ذلك كثير. من ذلك أيضًا ما رواه القالى فى ''أماليه'' لأبى محلم الشيبانى فى أواخر القرن الثانى من كتاب له إلى بعض الحذَّائين فى نعل له، قال هذا المتقعر:

« دِنْها، فإذا همَّت تأتدِن، فلا تُخلِّها تُمَرْخِد، وقبل أن تَقْفَعِلَّ، فإذا ائتدنت فامسحها بخرقة غير وكيَّة، ولا جَشِيَّة، ثم امْعسْها مَعْسًا رقيقًا، ثم سنَّ شفْرتَكَ وأمْهِهَا، فإذا رأيت عليها مثل الهَبْرة فسن رأس الإزميل .. إلخ »[19].

[18] (1)راجع: د. إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ ، ص90.

[19] (1) أحمد حسن الباقورى: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، ص62.

ب – أيضًا نحَّى القرآن الكريم كثيرًا من الألفاظ التى تعبر عن معانٍ لا يُقرُّها الإسلام، من ذلك:

١. **المرباع**: وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.
٢. **النشيطة**: وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.
٣. **المكس**: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى أسواق الجاهلية.
٤. **قولهم للملوك**: (أبيتَ اللعن).

ومثل ذلك كثير، يرجع إليه فى بطون كتب التراث.

سعة انتشار اللغة العربية

بنزول القرآن ودخول الناس فى دين الله أفواجًا من شتى بقاع الأرض؛ اتجه المسلمون من غير العرب إلى تعلم العربية؛ رغبة فى أداء العبادات والشعائر الدينية بها وقراءة القرآن بالعربية؛ لأن قراءة القرآن الكريم تعبُّد لله تعالى؛ لذا فقد انتشرت اللغة العربية انتشارًا ما كان ليتحقق لها بدون القرآن الكريم.

القرآن مفجِّر علوم العربية

من أجل خدمة القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه ونطقه على المسلمين الأعاجم، ولصيانته من اللحن والتحريف؛ قامت جهود فريدة لخدمة هذا الكتاب، فنشأت علوم لخدمة القرآن بصورة مباشرة، هى[20]: علوم القرآن، لدراسة كل ما يتصل بالقرآن من مكيٍّ ومدنى، وأسباب نزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل والقراءات القرآنية .. ونحو ذلك.

يضاف إلى هذا قيام علوم[21] استُخدِمت كأدوات لفهم هذا الكتاب، مثل علوم النحو والصرف والبلاغة .. ونحو ذلك.

وكما كان للمفسرين دورٌ بارزٌ فى تفسير آيات القرآن الكريم؛ فقد شارك معهم اللغويون بدور مميز؛ حيث تناولوا لغات القرآن الكريم، من ذلك: «لغات القرآن»

[20] (1) ذكر السيوطى فى كتابه «التحبير فى علم التفسير» مائة واثنين من الأنواع، وجعلها ثمانين نوعًا على سبيل الإدماج، فى « الإتقان» ، وذكر الزركشى فى كتابه «البرهان» سبعة وأربعين نوعًا.

[21] (2)راجع: ابن خلدون، المقدمة، ص 505.

للأصمعى (ت 213هـ)، «لغات القرآن» للفراء (ت 207هـ)، كما تناولوا غريب القرآن الكريم، من ذلك: «غريب القرآن الكريم» لابن قتيبة (ت 276هـ). وكان للنحويين أيضًا مشاركة فعالة على نحو ما نجد عند الأخفش والكسائى والفراء فى مؤلفاتهم تحت عنوان: «معانى القرآن».

الإختتام

هكذا تأثير القرآن على اللغة العربية لغويًا يُنظر في سبعة جوانب لغوية، وهي: حفظ اللغة العربية، استقرار اللغة العربية، توحيد لهجات العربية، إثراء وتنمية اللغة العربية، تهذيب اللغة العربية، سعة انتشار اللغة العربية، والقرآن مفجِّر علوم العربية. ومن المؤكد أن هذه الجوانب اللغوية السبعة هي التي تجعل اللغة العربية لغة وحيدة في العالم لا تتغير قواعدها اللغوية ، سواء من حيث علم الصوت ، أو علم الصرف، أوعلم النحو، أو علم الدلالة، التي لا تحدث في لغات أخرى في العالم. فالمتأمل للتاريخ يرى بوضوح لغات كثيرة قد اندثرت بموت أهلها، أو ضعفت بضعفهم. إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه باقية ببقائه.

المراجع

إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،1984.

ابن خلدون، المقدمة. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون 2015

أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم. القاهرة: دارإحياء الكتب العربية، 1945.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. مجلد 1. القاهرة: مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد،.د.ن.

أبو داود السجستاني، سنن أبي داود. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952.

أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مجلد 2. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1991.

أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية. دار المعارف: 1987.

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري. القاهرة: دار الصفوة، 1994.

البيهقى، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، مجلد 2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.

الترمذى، سنن الترمذى. القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي، 2000.

تمام حسان، البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني. عالم الكتب, 1993

الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين. بيروت: دار المعرفة، 1986.

خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، مجلد 2. بيروت: دار الكتب العلمية 2000.

الزركشى، البرهان في علوم القرآن. القاهرة: مكتبة دار التراث، 1957.

الزمخشرى، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مجلد1. بيروت دار الكتاب العربي. 1407 هـ

السيوطى، التحبير فى علم التفسير. الرياض: دار العلوم 1982

السيوطى، الإتقان في علوم القرآن. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1996.

الغزالى، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. بيروت: دار البيروتي. 1993

محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، مجلد 1. القاهرة: مكتبة الجهاد الأزهرية د.ن.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. بيروت دار الكتاب العربي. 1985.

محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مجلد 1. بيروت: دار المعرفة 1971.

محمد محمد داود، الدلالة والكلام: دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام فى العربية المعاصرة فى إطار المناهج الحديثة. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر, 2002.

النسائى، سنن النسائي الكبرى. القاهرة: دار الحديث، 1987.

يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين، شرح المفصل، مجلد 9 و 10، إدارة الطباعة المنيرية، د.ن.

DOI:10.22515/islimus.v4i1.1541